باسم قهار

برتقال

مسرحية

ألف ياء
Alf Yaa

برتقال

منشورات «ألف باء AlfYaa»

المؤلف: باسم قهار
الكتاب: برتقال (مسرحية)

ـ صدرت النسخة الرقمية: كانون الأول/ ديسمبر 2025

- **الناشر: «ألف ياء AlfYaa»**
- **الموقع الإلكتروني:** www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub وMobi و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ**«ألف ياءAlfYaa»**
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبّر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
«ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب

- **تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداوود**

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

باسم قهار

برتقال

مسرحية

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الإهداء

إلى **ضياء قهار**
روح من ألم وسؤال

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

المحتويات

مقدمة: «برتقال» باسم قهار: دراما الذاكرة والجنون والحنين والضياع.....9
الشخصيات.....15
ملاحظات: 17
الصورة الأولى 19
الصورة الثانية (يوم أخر) 35
الصورة الثالثة (ليلة أخرى) 47
الصورة الرابعة (يوم جديد) 61

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

مقدمة:
«برتقال» باسم قهار:
دراما الذاكرة والجنون والحنين والضياع

طالب الداوود

تنهض مسرحية **«برتقال»** للكاتب والمخرج والممثل **باسم قهار** كعمل درامي يختبر هشاشة الذاكرة وعمق الجنون وارتباك الهوية، في بناء مسرحي مكثّف يضع الشخصية المحورية، جانيت ورباح، في مواجهة ذاتية لا تعتمد على الحبكة التقليدية بقدر ما تستند إلى مسارات نفسية تتكرر عبر أربع «صور» زمنية. هذه الصور ليست مجرد محاولات لالتقاط لقطة فوتوغرافية، بل هي بحث مضنٍ عن لحظة ضائعة بين ذاتين متصدعتين تتشبثان بما تبقى من معنى. هنا لا نكون أمام مسرح واقعي أو سرد خطي، بل أمام رحلة داخلية تُقدّم الإنسان محاصَراً بأشباح ماضيه وبتقلّبات وعيه، ضمن فضاء يذكّر بمسرح الفكر أكثر مما يذكّر بالمسرح القصصي.

اعتماد المسرحية على **البنية الدائرية** يمنحها طابعها الفلسفي؛ فالتكرار المستمر لمحاولة التقاط الصورة يصبح رمزاً لتكرار الصدمة والذاكرة، ويكشف في الوقت ذاته عن الصراع الداخلي لكلٍّ من جانيت ورباح. رباح من جهته يعيش انقساماً

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بين العقل والهذيان، بين شاعر يخاف اكتمال القصيدة وإنسان يخشى السقوط في المرض، بينما تتشبث جانيت بالذاكرة كوسيلة خلاص: فنانة حلمت بالمجد وانتهت في الهامش، امرأة تتأرجح بين القسوة التي عاشتها والرغبة في دفء قد يعيد لوجودها بعض الاستواء. وبين الداخل المنهك والخارج القاسي، ينشأ صراع آخر بينهما يقوم على شدّ وجذب؛ **هي** تحاول أن تستنطق الحب، **وهو** يهرب من كل رابط يمثل تهديداً لذاته الممزقة. أما الصراع الوجودي فيتجلى في رفض رباح للسلطة بكل أشكالها، بدءاً من سلطة الطب والمستشفى وصولاً إلى المجتمع والعقل الجمعي، في حين تبقى جانيت مكبّلة بنظرات المجتمع إلى فنها وماضيها وخياراتها.

لا تتصاعد الأحداث على شكل ذروة تقليدية، بل عبر **تراكم التوتر** في الصور الأربع: تكرار المحاولة الفاشلة للصورة، انكشاف خبايا الماضي، اشتداد هذيان رباح، وازدياد إصرار جانيت على الإمساك به وبذاتها في الوقت نفسه. ويأتي التحول الحقيقي لا عبر انفجار درامي، بل عبر لحظات صغيرة، مثل تناول رباح الدواء للمرة الأولى بطلبٍ من جانيت؛ إنها لحظة اعتراف ضمني بحاجته إليها. ولحظة اللمسة الحقيقية في الصورة الرابعة، حين يضع رباح يده حول خصرها، تتويجٌ لتصاعد هادئ ينتهي بسقوط البرتقالة من يدها، وكأن الذاكرة نفسها تتخلى عن مثاليتها لتفسح المجال للحظة واقعية نابضة. وفي النهاية المفتوحة، لا ينتصر أحد، لكن جلوسهما مع «كومة برتقال» يجعل الصمت ذاته التتويج الذي فشلت الصورة بالتقاطه مراراً، فيتجسّد قول رباح :**«القصص الناقصة هي الحية والباقية»**.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يرتكز النص على الحوار بوصفه عموداً فقرياً يكشف الداخل أكثر مما يحرّك الحدث. الحوار واقعي بتلعثمه وانقطاعه وصمته وأسئلته التي بلا جواب، ويغدو الصمت نفسه لغة ثالثة تتكامل مع الكلام. البلاغة الشعرية والفلسفية تظهر بوضوح في حديث رباح، الذي يستحضر الدجاج ودون كيشوت والمستشفى والثورة السمكية كرموز لرفضه للعالم، بينما تنطق جانيت بلغة أقرب إلى الحياة اليومية، وإن كانت تنفتح بدورها على لحظات كثيفة من الشعرية الداخلية.

أما الشخصيات، فهما قطبان متوازيان في انكسارهما. **جانيت** تمثل قوة الهشاشة: فنانة أُجهض حلمها، امرأة تقاوم قسوة الحياة وتتشبث بالحب، وتحاول إصلاح رباح لكنها تدرك تدريجياً أن الخلاص ليس في تغييره بل في قبول هشاشته وهشاشتها معه .**رباح** من جانبه شاعر يكره اكتمال القصيدة، مريض نفسي يرفض تعريف الطب لحالته، ثائر يخشى التدجين، عاشق خائف من الحب لكنه لا يستطيع الانفصال عنه. يتطور رباح من غرقه في الرفض إلى اعتراف محدود بضرورة الآخر، ويتجسّد هذا في اللمسة التي خصّ بها جانيت في الصورة الأخيرة.

وتستند المسرحية إلى **رمزية عالية** تمنحها عمقها الغنائي والوجودي. البرتقالة رمز للذاكرة والحنين والجسد والدفء، وسقوطها لحظة انكسار الذاكرة وبداية انبثاق لحظة حقيقية، فيما ترمز «كومة البرتقال» في النهاية إلى تشكّل ذاكرة جديدة. المصباح البرتقالي يشكل نبضاً بصرياً يُحاكي اضطراب الداخل، بينما تمثل الصورة الفوتوغرافية سؤال

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الذاكرة الملتبسة: هل نتذكر ما حدث، أم ما نحتاج أن نصدق أنه حدث؟ وتتردد الموسيقى القادمة من الخارج كصوت للعالم الذي يهرب منه رباح وتحنّ إليه جانيت، ويظهر المستشفى رمزاً للسلطة التي تحاول «تصحيح» الاختلاف بالقسر لا بالعلاج. أما رموز الدجاج ودون كيشوت، فهما قطبا الطيف الذي يقف عليه رباح بين الاستسلام والتمرد، في حين يوحي القميص الأخضر بذاكرة الجسد والعطر واليقين العاطفي القليل الذي لم يفلت بعد.

من هذه الرموز تنبثق محاور فكرية كبرى :**الذاكرة والهوية** بوصفهما ساحة معركة، **الجنون والسلطة** حيث يتحول الجنون إلى احتجاج على عالم مضطرب، **الحب والوحدة** بوصفهما معركة وجودية أكثر منهما علاقة عاطفية، وأخيراً **الفن** بوصفه خلاصاً مؤجلاً لكليهما؛ فجماليات جانيت المجهضة وشعر رباح الناقص هما محاولتان لتطهير الذات من أثقال العالم.

في نهاية المطاف، لا تقدّم **«برتقال»** إجابات بقدر ما تفتح أبواب التأمل. هي ليست مسرحية للمتعة اللحظية، بل لتفكيك الإنسان في لحظاته الأكثر هشاشة. صمت، رموز، تكرار، حوار متكسّر... لكن تحت كل ذلك ينبض إنسان يبحث عن معنى في عالم يخذله باستمرار. وفي المشهد الأخير، تبدو كومة البرتقال فوق الأريكة اعترافاً صامتاً بأن **الوجود الناقص، مهما كان هشّاً، قادر على أن يمنح الإنسان لحظته المكتملة الخاصة** .وهكذا تقف **«برتقال»** كأحد الأعمال الدرامية االتي تتميز بالفرادة في المسرح العربي المعاصر،

منشورات «ألف باء AlfYaa»

عملاً يجاور الفلسفة ويستعير من الشعر صورته، ليقدّم تجربة إنسانية نادرة العمق والتأثير.

«برتقال» مسرحية **ضدّ التسلية**، وهي تتحدى المشاهد أن يتحمّل الصمت، التكرار، الغموض، وعدم اكتمال الحبكة. لكنها في المقابل تمنحه **تجربة إنسانية صادقة**: لا أبطال، لا شرّ مطلق، فقط ناس يبحثون عن لحظة - برتقالة واحدة - يمسكون بها قبل أن تسقط.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الشخصيات

جانيـت: مغنية في منتصف الخمسين

ربـــاح: شاعر أكبر سنا منها قليلا

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ملاحظات:

- فترات الصمت المتكررة تشكل جزءا أساسيا من إيقاع النص/ العرض إذ تعبر عن التشتت والإرباك الذهني للشاعر، وعن فقدان التواصل العاطفي والنفسي للمغنية. الصمت هنا لتدوير الزمن وخلق بداية جديدة لكل فعل أو حوار متعثر أو انقطاع بين الشخصيتين. ثمة نقطة صفر زمنية يتم الرجوع إليها بينهما. كذلك التنقيط المتكرر بين الجمل (...) فهو مرة محاولة للاستدراك وأخرى لضبط الإيقاع النفسي للشخصيتين.
- ترد بعض المفردات اللغوية التي تبدو أقرب إلى المحكية منها للفصحى، وتصلح أحيانا للتداول في كليهما.
- فايروس كورونا وتوابعه يحضر في حالة واحدة هي ارتداء الكمامة والقفازات الطبية مرة واحدة من طرف المغنية لتعميق العزلة في المكان، ويمكن عدم الإشارة إلى هذا في حالة عرض النص كخيار غير ملزم.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الصورة الأولى

أريكة كبيرة بلون رمادي غامق تتوسط الخشبة وهي أقرب إلى مقدمة المسرح من عمقه، ضوء (لمبدير) عالي بلون برتقالي على يسار الكنبة، وعلى يمينها منضدة صغيرة واطئة. صوت موسيقى هادئة يبدو أنه يأتي من شباك ما.

تقف جانيت إلى يسار رباح وهما مستعدان لالتقاط صورة فوتوغرافية، على وجهها ابتسامة لم تكتمل... هو ينظر ساهما إلى أبعد من الكاميرا المفترضة... بين جسديهما بضعة سنتيمترات قليلة.

جانيت: تذكر... كنا في حديقة الحيوان... الشمس في عيوننا وخلفنا الأشجار والزرافات. قال لك المصور أن ترفع يدك من فوق عينيك... تذكر؟

رباح: لست متأكدا...

جانيت: أنا اذكر... تلك الصورة الوحيدة التي التُقطت لنا معا.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ربـــاح: لا أحب الصور...

جانيـت: كنا هناك وطلبت من ذلك المصور الجوال أن يلتقط لنا الصورة، الأمر ليس سرا ولا خطأ فيه.

ربـــاح: هل أنت متأكدة من وجودي معك في الصورة؟

جانيـت: كنا معا... يوم أعطيتني برتقالة... لماذا تحاول دائما أن تكذّب أي شيء حدث بيننا؟ الصورة معك ولو كان شخصا آخر لما أنكرت هذا، بل ربما لن يكون هناك داعٍ لأحكي لك عنها، أنت دائما تبحث عن علاقتي بالآخرين وتهرب من أي شيء حدث بيننا.

ربـــاح: أي آخرين؟

جانيـت: لن أقول لك شيئا عني بعد الآن، لن أحكي لك عن أسراري، سأحتفظ بها بعيدا عنك كي تظل فضوليا وراغبا بالذي لا تعرفه.

ربـــاح: من قال إني أبحث عن أسرارك؟ لا شيء يهمني من الماضي في أية حال، ولا تستهويني قصص الآخرين.

جانيـت: **(بمرح)** كذاب!

ربـــاح: هذه ليست تهمة.

جانيـت: لا تتهرب.

ربـــاح: منك أم من الكذب؟

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيـت: أرجـوك... لا أحـب ألعابـك اللغويـة... تعبـت منها.

ربـــاح: لأنك لا تجيدينها... لا تجدين اللغة ولا تعرفي اللعب!

جانيـت: أنت تلعب بأعصابي... يكفي أرجوك.

ربـــاح: لاعب لغة ولاعب أعصاب... ماذا أيضا؟

صمت

جانيـت: هل أخذت دواءك؟

ربـــاح: ليس مهما..

صمت

جانيـت: أنت عدائي، تضطهدني وتقلل من شأني، أنت تستفزني رغم كل الذي أفعله لأجلك.

ربـــاح: لم أطلب منك أن تفعلي شيئا من أجلي، أنا هنا لأنك تريدينني أن أكون هنا، لأنك بحاجة إليّ ولا تستطيعين التخلي عنّي... أنا مقبوض عليّ... من يضطهد من؟

جانيـت: أنت هنا لأنك بحاجة لرعاية... أنا لا أضطهدك أنت تحتاجني وأنا أحتاجك، يجب أن تكون مع أحد، لا يمكن أن تكون وحدك.

ربـــاح: لماذا؟

جانيـت: لأنك... تعرف لماذا.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ربـــاح: **(يهذي بهدوء)** لا أعرف لماذا... رأسي مليئة بالناس ولا أحتاج إلى أحد، رأسي متخمة بالبشر الذين أريد أن أكون معهم، أعرفهم وأعرف كيف يفكرون وبماذا يحلمون، أعرف الكثير عن حياتهم وآلامهم ومسراتهم، أكلمهم كل يوم كل ساعة كل لحظة، هم أصدقائي وبعضهم أعدائي أيضا، أحاورهم وأجادلهم وأتخاصم معهم... يبكون أحيانا وأحيانا يضحكون ويسخرون، يقلقونني ويمنعون عني النوم ويقسون عليّ حين يكلمونني كلهم مرة واحدة رغم أنهم لا يخلفون معي موعدا، ولا ينزعجون مني عندما أتحدث إليهم طويلا وهم ينصتون كأولاد المدرسة، لكنهم بحاجة إلى التصرف معي بذوق ولباقة أكثر... أكلمهم أحيانا عندما يضيق صدري ويضيق العالم ويضيق المكان، لكنهم لا يردون، أوبخهم فيحنون رؤوسهم خجلا وأعطيهم الأعذار فربما يكونون مشغولين أو يتشاركون بشيء مع بعضهم... أفض نزاعاتهم كقاضٍ يطيعه الجميع وينتظرون مني أن أقول رأيي بكتبهم وأفكارهم، ولا يفعلون شيئا سوى انتظاري لتقييمهم... أحبهم لكنهم يوجعون رأسي ويفتحون عليّ الباب دون استئذان...

صمت

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيـت: هل تشعر حقا بأنك مقبوض عليك... سجين؟

ربـــاح: ها..؟ لا أقصد... خانني التعبير.

جانيـت: بشر كثيرون في رأسك، ألست أنا واحدة منهم؟

ربـــاح: **(صامت وكأنه ليس هناك)**.

جانيـت: ماذا... ألست معك وجنبك؟

ربـــاح: إما في رأسي أو جنبي، لا يمكن أن تكوني في المكانين معا!

صمت

جانيـت: أين تريدني أن أكون؟

ربـــاح: سأقول لك عندما أعرف أين أريد أن أكون.

صمت

ربـــاح: ما بك؟

جانيـت: لا شيء.

ربـــاح: مرة أخرى...؟

جانيـت: ... أنا لا أبكي!

ربـــاح: غني بدلا من أن تبكي.

جانيـت: تحب صوتي؟

ربـــاح: أحب الغناء... الصوت ليس مهما.

جانيـت: ما تقوله ربما صحيح لكنه مؤذي، أنت تعامل الأشياء كلها بنفس الدرجة وبنفس الأسلوب، أنا

منشورات «ألف باء AlfYaa»

وجملة في كتاب متساويان أمامك... نموذجان للتحليل والتفكير، ما تقوله عني لا يختلف عن الكرسي الذي أجلس عليه.

صمت

ربـــاح: أريد أن أذهب.

جانيـت: إلى أين؟

صمت

جانيـت: أنت لم تمسك يدي ولا مرة... ربما مرة واحدة لم تقصدها في تلك الساعات الصعبة التي قضيتها في عيادة الطبيب الذي أخذتك أليه، كنت ساخنا ترتجف وتهذي، وعندما وضعت الغطاء فوقك لمست يدي يدك... مسكتها وأخذتها بين أصابعك... تكهربت... سحبتها لكنك تشبثت بها بقوة وقسوة. ورغم أنها آلمتني تركتها شاعرةً بأنك كنت بحاجة إلى شيء مني ليكون معك ، ثلاث ساعات حتى توقف هذيانك واستقر جسدك ثم أرجعت يدي لي وكأنك ما عدت بحاجة إليها.... أتذكر؟

ربـــاح: لا أعرف.

جانيـت: ما الذي لا تعرفه... هل يحتاج هذا إلى معرفة؟

ربـــاح: لا شيء بلا معرفة... لا أتذكر كثيرا أني كنت طفلا يتعلم هذه الأشياء ولا عندما كبرت... ما أتذكره من طفولتي لحظات قلقي... كنت أكبر

منشورات «ألف باء AlfYaa»

لأن قلقي كان يكبر... قلقي كان يكبر وكياني يلحق به... لم يكن لي صديق وما كنت صديقا لأحد... ربما كان لي صديق واحد طوال سنوات عمري الذي لا أعرف كيف عشته، صديق تعرفت إليه عندما أصبحت رجلاً... تركته هناك على ضفة النهر.

جانيت: لم تقل لي يوما أن لك صديقاً... من هو؟

صمت

رباح: **(يواصل وكأنه مع نفسه)** الشراكة نوع من التدجين... أن تكون لائقا بآخر وهو لائق بك تتخلى عن أشيائك وأذواقك وأمزجتك وتشركه في كل ما هو خاص بك فتخسر كل ما يجعلك مختلفا وبعيد المنال، تخسر نفسك وحتى رائحة جسدك... أي احتضان هو بداية ترويض... الحب وتوابعه أشكال من الطاعة.

جانيت: أنت مثل طفل يخاف إبرة الطبيب وأهله لا يفكرون إلا بصحته، أكثر ما تحتاج إليه هو الحب.

رباح: **(بسرعة يلتفت إلى إحدى الجهات)** هل سمعتِ هذا الصوت؟

جانيت: أي صوت؟

(صمت ولا شيء سوى صوت الموسيقى البعيد القادم من الشباك)

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيـت: ألا تذكر أنك أُعجبت بامرأة... ألم تلتقِ بواحدة حركت فيك عاطفة أو شعورا من أي نوع... كيف لم تحب أبدا؟

ربـــاح: هل كان يجب عليّ أن أحب أو تكون لي قصة حب؟

جانيـت: ليس بالضبط... لكن هي الدنيا فيها الحب و..

ربـــاح: **(يقاطعها)** ماذا تعرفين عن الحب؟

جانيـت: لا أعرف ما هو الحب، لكني أحببت كثيرا، وكثيرون أيضا من أحبوني، من قال بأني أعرف الحب في السادسة عشرة من عمري عندما انتابني إحساس غريب بجمال الدنيا من نظرة صديق أخي الذي زار بيتنا... أتذكر نظراته ورجفتي لحظتها وانتظاري أن يزورنا في أي يوم، سرقت صورته من أخي ووضعتها تحت أشيائي في دولاب الملابس، وكنت أخرجها أكثر من عشرين مرة في اليوم لأنظر إلى عينيه... اختفت الصورة لوحدها عندما لم يعد يزورنا ولم أعد أراه.

ربـــاح: هذا ليس حبا، أنت لم تنظري إلى عينيه في الصورة بل كنت تنظرين إلى نفسك... إلى شعورك لحظتها.

جانيـت: لم يكن حبا لكنه جزء مني، كنت مراهقة ولا ألوم نفسي الآن، لكني عندما كبرت وشعرت

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بأني حرة أحببت بقوة وبكل روحي.

رباح: **(صامت وينظر إليها منتظرا أن تتحدث).**

جانيت: أحببت رجلا كان يمكن أن يغير مصيري، لكن مصيره كان أقوى **(تصمت متأثرة)** تكررت صدفة أن أراه أكثر من مرة، كانت عيوننا تلتقي دون قصد كأن الواحدة تبحث عن الأخرى، مشى أمامي مرة وأسقط ورقة كتب فيها إعجابه بي ورغبته في لقائي، صرنا نخرج مع بعض، يمسك يدي كثيرا، وفي المرات الأخيرة صار يبوس خدي قبل أن يسافر، خجولا ومرتبكا ومبتسما دائما بحياء، يغيب شهرا ويعود أسبوعا ضابطا احتياطيا في الجيش. في غيابه كنت أتذكر كيف يحمر خدي عندما يبوسه، التقيته بعد تسعة أشهر من تعارفنا، كانت عيناه مضطربتين وابتسامته غائبة، كان حزينا وضعيفا، أخذني إلى سوق الذهب واشترى لي قلادة بكل مرتّبه، أمسك يدي بيده التائهة لكنه فشل في أن يبوس خدي، نظر إلى وجهي طويلا وسحب يده مني ببطء ثم استدار وعاد إلى الحرب... وظل هناك.

رباح: كثيرون ظلوا هناك... لا يمكن للكل أن يكونوا هنا!

صمت

جانيت: تأكل..؟ طبخت لحما؟

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ربـــاح: ممكن بطاطا وبصل؟ في المستشفى يأتون لنا باللحم المسلوق كثيرا... كرهته.

جانيـت: لماذا كرهته؟

ربـــاح: أشياء كثيرة كرهتها وأنا هناك... لم تكن مستشفى بل مدرسة للكراهية، لقد تركتِني وقتا طويلا هناك.

جانيـت: **(بحنان)** أردت أن تكون أفضل.

ربـــاح: كيف لأحد، هناك، أن يكون أفضل؟

جانيـت: تتعالج... يعتنون بك في المستشفى.

ربـــاح: **(منفعلا)** أتعالج؟ أطباء وحوش سفاحون يصدرون أوامر مثل ضباط حرب لجيش خائف، أتعالج بالكهرباء التي مزقت رأسي وجسدي، بحفنات من حبوب وعقاقير عليّ أن أبتلعها وبالقوة ثلاث مرات يوميا، ممرضون وحراس يعالجوني بالشتائم والعصي كي أكون مثلهم، لا يقبلون بي مختلفا... هذه مصحات لقتل المختلف وترويضه، أماكن تريدك أن تكون عاقلا وتتبول على نفسك... يريدون نُسخا ولا يريدون مختلفين، هل أنا مريض وبحاجة لحبوب التخدير وصدمات الكهرباء لأن رأسي ليست كرؤوسهم؟... ضربوني مرة لأنك أتيت لي بالشرشف الأزرق لأضعه على سريري، ربطوني على الشباك وقاموا بعملية تفتيش

منشورات «ألف باء AlfYaa»

طويلة بحثا عن أي شيء... كرهت الشراشف البيضاء والأضوية الحزينة البيضاء والجدران الكئيبة البيضاء وأردية الممرضين البيضاء، كرهت كل شيء أبيض حتى الشيب في رؤوس المرضى **(يهدأ قليلا)** على أية حال أنا والأبيض لم نتفق يوما، لا أحبه ولا يحبني... لأنه واضح وبسيط... مسالم ومستسلم، شيء بلا شكوك، يحتاج إلى كثير من الجروح ليصبح لونا!

(صمت مربك)

جانيت: تأكل؟

رباح: بطاطا وبصل وكثير من الملح... شكرا.

(يصمتان وتنخفض شدة الضوء حتى العتمة)

(بعد أيام)

(يجلس على الأريكة وإلى جانبه وسادة وشرشف غامق اللون مثقل الرأس وعكر المزاج... ضوء اللمبدير البرتقالي بنصف قوته... تدخل جانيت وهي عائدة من الخارج تضع كمامة وقفازات طبية، تحمل عدة أكياس وتبدو أنيقة ومتفائلة)

جانيت: **(ترفع الكمامة عن وجهها)** صباح الخير.

رباح: صباح الخير.

جانيت: كل المزة التي تحبها، وأدوات الحلاقة، وبعض

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الأشياء التي تحتاجها، وغدا سأخرج لأشتري بعض الملابس.

رباح: لماذا الملابس؟

جانيت: لأنك تحتاجها.

صمت

رباح: لماذا تفعلين هذا معي؟

جانيت: لأني أريد أن افعل هذا معك..

رباح: أنا لا أصلح لشيء..

جانيت: أنت تصلح لكل شيء، تحتاج إلى قليل من الوقت والهدوء.

رباح: أضعتُ كل الوقت وأنا أبحث عن نفسي... **(يصمت ثم يقول)** أريد أن أذهب.

جانيت: لماذا؟

صمت

جانيت: كيف نمت؟

رباح: نمت بشكل جيد..

جانيت: أفرح عندما تقول هذا... سأفعل كل ما أستطيع لتكون بخير..

رباح: ماذا يعني أن أكون بخير؟ أن يكون لي سرير وحمّام وتلفزيون وآكل جيداً وأمارس الرياضة والجنس وأضحك؟ وما دمت تمتلكين كل هذا...

منشورات «ألف باء AlfYaa»

هل أنت بخير؟

جانيت: تعاقبني على كل جملة طيبة أقولها لك، لدي سرير وحمّام وتلفزيون لكني لست بخير.

صمت

جانيت: مررت من أمام مطعم السمك لكنه كان مغلقا... المطعم الذي دعيتني للعشاء فيه قبل خمس عشرة سنة **(تضحك بشكل خفيف)** رأيتك عبر زجاج البار وحيدا في الضوء الخافت، لوحت لك بيدي **(يلوح لها بيده)** وعندما خرجت قلت لك: خلاص تركت الكباريه ولن أعود إليه مرة أخرى، فرحت وبابتسامة عريضة قلت تعالي نحتفل بالبيرة والسمك **(تضحك ثم يضحك معها بشكل أخف. يتذكران واقعة ماضية... هنا تستعيد كلامه وهو يحرك يديه كأنه يبدأ الكلام)** لو عرفت السمكة أنها ولدت وكبرت وتم إصدیادها وبيعت وفُتحت بطنها ورُشّت بالملح والفلفل وشُويت وقُدمت لنا بفرح لفكرت بتغيير مصيرها **(يضحكان ثم يؤشر بيده كأنه يطرد أحد ما)** طردنا صاحب المطعم لأنك تحرض الزبائن كما قال... **(يؤشر بيديه كأنه يؤكد شيئا)** لا، أنا أحرض السمك **(يضحكان)** الثورة السمكية **(يضحكان)** كنتَ سعيدا ذلك اليوم وأنا كنت فرحة... فرحة بالسمك **(يضحكان)**.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

صمت

جانيـت: أغلقت الشباك مرة أخرى؟

ربـــاح: تأتي منه أصوات عالية.

جانيـت: أي أصوات ... الموسيقى؟

صمت قصير

ربـــاح: كل هذه السنوات وأنت وحيدة؟

جانيـت: تسأل عن وحدتي أم كيف تدبرت حياتي؟

ربـــاح: أمرآة لوحدها في هذا العالم...

جانيـت: **(تقاطعه)** ها هو فضولك يتحرك مرة أخرى... مثل طفل لا يريد التوقف عن سماع القصص، هل أنا غامضة إلى هذا الحد أم أنت المشغول بنبش الماضي الذي يخصني... لن أتوقف عن إشباع رغبتك بقصص حياتي وإنْ أنكرت هذا أو حتى عاقبتني..

ربـــاح: لا أعتقد أن لدي فضولا ولست مشغولا بماضيك..

جانيـت: وماذا تعتقد أيضا؟

ربـــاح: أشياء كثيرة اعتقدها وأشياء كثيرة لا اعتقدها.

صمت

جانيـت: أعيش بالصدفة أو بالرحمة، رجل كهل وعلى كرسي مقعدين يعينني على الحياة من عشرين

منشورات «ألف باء AlfYaa»

سنة، كان موجودا مرة وأنا أغني في الكباريه، انتبهت إليه حين بعث لي باقة ورد جميلة، كان في الخمسين، أنيق وبشعر فضي وابتسامة حنونة... صار يأتي لأجلي كثيرا، وصارت عيناي تبحثان عنه وأنا أغني، شعرت بأني أغني له وحده، بدأت أشتاق إليه، وتحول الكباريه إلى سبب لألقاه ليس أكثر. كان فيه شيء من كل شيء، الضابط الذي أحببته وأخذته الحرب، والأب الذي مات وأنا طفلة، والصديق الذي افتقدته طوال حياتي، تعلقت به، بعطره، ببدلاته الكحلية القاتمة، وبضحكته القصيرة التي تشبه ضحكة ولد. كنا نلتقي كل خميس ونسهر طويلا، يحكي لي حكايات جميلة طريفة وبعضها حزين، لكنه كان يقول في كل مرة قبل أن يذهب إنه يؤلف تلك الحكايات... لا أعرفه، لا أعرف إن كان متزوجا أم لا، لا أعرف ماذا يعمل، لم يقل شيئا ولم أسأله، اكتفيت بالذي أراه منه ولم يقلقني غموضه، كل مرة في ساعات الفجر كان يبكي قبل أن يذهب، يبكي كثيرا ولا أعرف السبب، افترسه المرض لكنه ظل ذلك الرحيم الذي لا ينسى، وأصر على أن أعيش بكرامة. قال لي مرة: شكرا لأني معك أبكي مثلما أريد، يرفض أن أراه، يريد أن تبقى صورته في ذاكرتي كما كانت... لو التقيته لجعلته يبكي ولو مرة واحدة.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

صمت

أحكي لك هذا لأنك تريد أن تعرف كل شيء عني، لكن الذي يزعجني إصرارك على معرفة الماضي ولا يهمك من أنا الآن.

صمت متوتر

مراهقة مسلمة هربت من أهلها لتغني وادعت أنها مسيحية، رسمية أصبحت جانيت مغنية الكورس التي أصبحت تغني في الكابريهات، صاحبة الماضي الوسخ والبيئة الموبوءة والعلاقات المشبوهة. **(تنفجر)** أنا كل هذا، أنا التي كان السكارى يقرصون عجيزتها وأفخاذها كل ليلة بين الطاولات، وعاشت أكثر لياليها في ملاءٍ شبه مظلمة مع روائح الخمر والبول والقيء، أنا التي تبكي كل ليلة لأجل حلمها الذي تحول إلى مرددة أغاني تافهة لرجال فاقدين السمع والوعي والاتزان. **(تهدأ قليلا)** تصورت أنني سأكون مطربة وأشتهر، ويكون لي معجبون وفلوس ونجومية وصوري في المقاهي وجيوب الشباب، حلم مراهقة يتيمة غبية وَدَّعَتْ الأمان وضاعت في هذا العالم. هل أخطأت؟ ليتني لم أحلم. **(صمت يطول قليلا وكل منهما مع نفسه... تنخفض درجة الضوء ثم إظلام تام)**.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الصورة الثانية (يوم أخر)

(نفس وقفة الاستعداد لالتقاط الصورة الفوتغرافية الأولى... صوت موسيقى بعيد ينبعث من الشباك)

جانيت: تذكرت. يدك كانت على كتفي... يدك اليسرى.

رباح: يدي؟

جانيت: نعم.

رباح: كيف...؟

جانيت: حين قال المصور كثير الكلام أين الرومانسية؟ نظرت إليك ثم علقت يدك في الهواء لحظة ووضعتها على كتفي الأيمن دون أن تبتسم... وعدت أنظر إلى الكاميرا وكانت البرتقالة في يدي اليسرى. **(بعد لحظة من الحيرة ويده اليسرى معلقة في الهواء يضعها على كتفها الأيمن، تبتسم هي للكاميرا المفترضة فيما هو متجمد الوجه كأنه في ورطة... لحظات ثم يرفع يده من فوق كتفها وينسحب إلى الخلف... تتراجع بعده إلى الأريكة ويتوهج ضوء اللمبدير البرتقالي).**

منشورات «ألف باء AlfYaa»

صمت قصير

رباح: لا تبكي.

جانيت: أنا لا أبكي.

رباح: أنت تبكين..

جانيت: أنا لا أبكي... دموعي تنزل وحدها..

رباح: غني! لا تبكي... لو اختلطت دموعك بغنائك لأصبحت مغنية عظيمة.

جانيت: حين أغني يتوقف بكائي.

رباح: الغناء نوع من البكاء... المغنية العظيمة تشعل روحها وأرواح من يسمعها بالبكاء.

جانيت: قد تكون على حق لكني لا أريد من الغناء إلا شيئا من الفرح، لم أشعر برغبة في البكاء وأنا أغني... أفرح عندما أغني... لا أعرف البكاء وأنا أغني.

رباح: ينقصك شيء ما!

جانيت: أي شيء؟

رباح: شعورك بأن الغناء خلاص.

جانيت: أحببت أن أغني... هذا كل ما في الأمر، غنيت في البيت والمدرسة وعند صديقاتي، غنيت في الحمام وعلى السطح وفي كل مكان أكون فيه وحدي، أمي كانت تطلب مني أن

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أغنـي لهـا عنـدما يكـون أخـي خـارج البيـت وكانت تقول لـي أحب غناءك... إنـه يُريحنـي. كـان الغنـاء يفرحنـي دائمـا ويـوقظ فـيّ الرغبـة في شيء مفقود. عندما كنت أغني أحيانا أشعر بأن صوتي شيء يبتعد ويومئ لـي أن أتبعـه... كان يومض ثم يبتعد ويختفي دون أن استطيع الوصـول إليـه، وعنـدما كبـرت قلـيلا كتمـت رغبتـي فـي الغنـاء لأنـي أعـرف المحظـور، انخفض صوتي وصرت أحبس أنفاسي وأغنـي فـي دولاب الملابـس كـي لا يسـمعني أخـي أو الجيران.

صمت

(تواصل ببوح عاطفي... مـا زالـت الموسيقى تنبعث من الشباك)

كل صديقاتي عرفن ولعي بالمغنية التي حلمت أن أكون مثلها، أن يكون شعري مثل شعرها، ويدي تتحرك مثل يدها، وألبس بنطلونـا ضيقا مثل الذي يشد مؤخرتها... كانت صورها تملأ رأسي وكتبي وتحت مخدتي. في تلك الحفلة، حفلة عيد ميلاد صديقتي نوال وضعوا أغنيتها وغنيت معها **(تغنـي)** زي العسل على قلبي هواك... زي العسل*... كنت أغني وصوتي

* **"زي العسل على قلبي هواك": أغنية المطربة صباح.**

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أبعد مني... هناك... يبتعد كوهج أو مثل كرة ضوء، صوتي يرتفع وينخفض يتلون ويفلت مني... يغني وحده.., كنت حرة وأشعر بأني فوق الأرض بقليل، لم أعرف هذا الإحساس من قبل... مسني شيء غامض، فرح لم أذقه... في تلك اللحظة قبل حوالي أربعين سنة أخذت قراري أن أتبع صوتي للنهاية.

رباح: ما الذي تبقى من ذلك الضوء؟

جانيت: لا شيء... انطفأت تلك الهالة، لا شيء يبتعد وينادني لأجري خلفه، كل شيء في مكانه بل عبرته وظل هناك خلفي... لدي الشجاعة لأقول أني فشلت... أصبحت أغني خلف مغنين ومغنيات لأكمل أصواتهم وأغانيهم... لم يفعل أحد هذا لي... ليس من يكمل أغنيتي... أغنيتي ناقصة دائما... لم يقف خلفي كورس لأني أنا الكورس! صدأ صوتي وتوزع على المغنين والمغنيات... اختبأ في نوادي الليل مع ضجيج السكارى وانتهى.

صمت

(في لحظة هدوء ومرح) كنت أتحجج أحيانا وأنا أغني خلف إحداهن وأقول لنفسي... أنا أغني خلفها لأن عجيزتها أكبر من عجيزتي **(تضحك)**

رباح: الكل هكذا...؟

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيت: لا لا... لا طبعا... لا تكن خبيثا، لبعض المغنيات أصوات وأغاني جميلة وما كان يؤذيني أحيانا أن لا تكون تلك الأغنية لي، أن لا أقف هناك في الأمام والكل يعزف ويغني ورائي، شيء من الحسرة والغيرة كان يصاحبني وقتها، أنت واحد من القلائل الذين أمنوا بأني مغنية، أحب كلمات الأغنية التي كتبتها لي، تمنيت كثيرا لو أني غنيتها لكنها لم تكتمل ككل شيء في حياتي.

رباح: لا شيء يكتمل، ولا شيء ينبغي أن يكتمل... غير المكتمل هو محور حياتنا وقوتها.

جانيت: كل قصص حياتي مبتورة..

رباح: لو اكتملت لن تعود قصة... القصص الناقصة هي الحية والباقية، ما الذي يحكى عن اثنين التقيا وتحابا وتزوجا؟ هل لو أن قيسا أقترن بليلى كانا سيكونان قصة؟ أي شيء سيكتبه شكسبير لو أن روميو وجوليت عاشا بسلام وحب وأنجبا أولادا؟ القصص العظيمة هي تلك التي تصر على البقاء لأنها ترفض منطق النهايات السعيدة والحلول الجميلة، القصص هي انعكاس لضياع العالم وهشاشته.

صمت

(يواصل) نحن قصص أيضا... حياتنا قصص

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

كبيرة لأننا غير مكتملين... نتألم ونشعر بالتيه والخوف ونثير الأسئلة والشكوك ونركض خلف كرات الضوء إلى الأبد.

(تذهب جانيت إلى العمق وتعود حاملة كأسا من الماء في يد وفي الأخرى كبسولات دواء)

جانيت: **(تمد يدها بالدواء والماء إليه)** الوقت..

رباح: لست بحاجة إليه.

جانيت: أنت بحاجة للدواء.

رباح: **(بانكسار)** أرجوك.

جانيت: طيب بعد قليل... هل تريد أن تأكل؟

رباح: لا.

صمت

جانيت: بعد كل هذه الأيام وكل ما حكيته لك لا تريد أن تعرفني، ومع هذا ما زلت ذلك الرجل الذي لا أريد أن أحاسبه على شيء.

رباح: لماذا تعتقدين بأن قصص حياتك هي التي تجعلني أعرف من أنت؟ في الحياة معظم قصص الحب والعراك والألم والخسران ندخلها مرغمين، هي قصص آخرين لهم فيها نوايا... نحن أطراف برغبة الآخرين لا برغبتنا... القصة الوحيدة التي تقول عنك شيئا

منشورات «ألف باء AlfYaa»

تلك التي ركضت فيها خلف صوتك، خلف كرة الضوء، ليس مهما بعدها أي شيء.

جانيت: يبدو أن حياتي بعد تلك اللحظة لا قيمة ولا معنى لها.

رباح: **(يتكلم بسرعة وانفعال كأنه يهذي)** مصيرنا تصنعه لحظة، صدفة، خيار، إرادتنا غالبا ما تنهزم أمام قوانين الحياة واستبدادها، قوانين تتحول إلى مقدسات يجب إطاعتها، الطاعة هي جوهر علاقتنا بما حولنا، نطيع أجسادنا وأحلامنا، نطيع الواقع والمنطق والأب والسلطة والآلهة، نطيع من نحب وكل ما هو قوي، نطيع حتى الموضة... لا يمكن للطاعة والحرية أن تكونا في المكان نفسه، حلمك الأول هو حريتك وما بعده ليس إلا طاعة.

(صمت ولا شيء سوى صوت لهاث رباح، تتجه جانيت حيث كأس الماء وكبسولات الدواء وتمدها إليه)

رباح: إنها تنهكني.

جانيت: ستكون أفضل لو أخذتها...

رباح: لا أحتمل قوانين المستشفى مرة أخرى.

جانيت: لا يوجد حل أخر غير هذا.

رباح: أتعرفين ماذا تفعل بي... أنت لم تجربيها!

جانيت: هل تريدني أن أجربها... سأفعل هذا لو

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أقتضى الأمر **(تهم بالتهام الكبسولات)**.

رباح: **(بردة فعل سريعة)** لا... لا.

جانيت: **(تنزل يدها دون أن تأخذ الدواء)** ماذا ستفعل لي... أنا قابلة... أدوخ... أنام... أم أتحول إلى فيلسوفة **(تضحك ويضحك معها)**.

صمت

جانيت: أنا صبورة ولكن لم يعد لي وقت للانتظار، أحب حل الفزورات بسرعة... أحب الأجوبة... هل تريد أن تبقى معي؟

صمت

رباح: لماذا لا تغنين؟

جانيت: ما الذي أغنيه؟

رباح: أي أغنية تحبينها..

جانيت: أحب الكثير من الأغاني..

صمت

رباح: من سهّل خروجي من المستشفى؟ من أخرجني؟

جانيت: أنا أخرجتك من المستشفى.

رباح: لست أنت... لن يسمحوا لك لأنّ لا صلة بيننا... هذا قانون.

جانيت: مثلما أخذتك إلى هناك تكفلت بخروجك

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أمامهم.

رباح: هل يمكن أن تقولي لي من؟

جانيت: رجل أعرفه... ولا أعرفه في نفس الوقت.

رباح: هل هي قصة أخرى... ؟

جانيت: ألم تقل إنك لست بحاجة إلى معرفة ما كان في حياتي؟

رباح: أنا أسأل عن الشخص الذي أخرجني من المستشفى لا عن حياتك... إلا إذا اعتبرتِه جزءا من حياتك.

جانيت: أنت تدير الكلام بطريقة غريبة كلما أردت معرفة شيء عني... ما الذي يهمك فيه؟ **(بلطف)** تغار... ها... تغار؟ أم هو فضول لا تستطيع السيطرة عليه؟ **(تلاطفه)** تغار... أنت غيّار؟ فرق كبير بين رغبتك في معرفة من هو وبين ما الذي يعنيه لي.

صمت

حدث شجار وإطلاق رصاص في آخر الليل بين بعض الزبائن في الكباريه فأخذتنا الشرطة جميعا إلى المركز، وبعد ساعات من الانتظار جاء إليّ شرطي وطلب مني مرافقته، فتح لي باب السيارة وساقها إلى بيتي، وقبل نزولي أعطاني ورقة فيها رقم تلفون وقال إذا ما احتجت إلى شيء اطلبي

منشورات «ألف باء AlfYaa»

هذا الرقم واسألي عن منير، سألت من هو منير؟ قال تفضلي الآن مع السلامة. طوال أيام كنت حائرة وأتساءل من هو ذلك الرجل الذي ترك لي رقمه واسمه، أردت أن أعرف، وكلما اقتربت من التليفون لأدير الرقم عدت إلى تذكر الجملة... إذا احتجت لشيء. انهارت مقاومتي مرةً أمام هذا الغموض وأدرت الرقم وجاء الرد: من؟ أغلق الخط حين أعطيته اسمي وطلبت الأستاذ منير... بعد دقائق رن جرس التليفون وبصوت هادئ وثقيل قال كيف حالك... هل أنت بخير... تحتاجين لشيء؟ قلت مرتبكة لا شكرا... نعم... أنا بخير... قال اتصلي عندما تحتاجين شيئا... لا تترددي مع السلامة..

ربـــاح: **(يقاطعها)** قصة أخرى.

جانيـت: هذه حياتي... كلها قصص.

صمت قصير

بعد أشهر وجدت مظروفا مُرر من تحت الباب وفي داخله صورة، نظرت إليها طويلا وقرأت الكلمات الشاحبة خلفها، في عيد ميلاد أختي نوال 20/ 4/ 1978. كان هو يقف إلى يسار نوال وأنا إلى يمينها وحولنا الكثير، وكنّا نضحك... ذلك اليوم الذي غنيت فيه في عيد ميلادها زي العسل على قلبي هواك... ذلك

منشورات «ألف باء AlfYaa»

اليوم الذي رأيت فيه كرة الضوء... كان أخو صديقتي نوال... أتذكره... لم يكن اسمه منير كان له اسم أخر... هذا الرجل الذي أعرفه ولا أعرفه من ساعدني على إخراجك من المستشفى لتكون معي.

ربـــاح: من هو؟ كيف يساعدني رجل ويخرجني من المستشفى وأنا لا أعرفه..؟

جانيـت: قلت لك ما أعرفه عنه... ما شكله وأين يعيش وماذا يعمل لا علم لي... يبدو أنه يعمل في مكان مهم... أنت لا يهمك من هو بل ما الذي بينه وبيني... لماذا أفتح قلبي وذاكرتي وأحكي لك كل هذا..؟ **(صمت)** استنفذت كل شيء فيّ كامرأة ولا أريد شيئا منك، أريد أن أمنحك ما تبقى من سنواتي، أريد أن أصلح ما تبقى من حياتي معك... لا تكن قاسيا معي.

ربـــاح: ... لا أنوي أن أكون قاسيا معك.

(تتحرك وتعطيه الدواء مرة أخرى... لا يصدر أي فعل ويدها ممدودة... ينظر إليها ثم يأخذ الكبسولات والماء ويتناولها).

ربـــاح: سأذهب!

جانيـت: لماذا؟

صمت

(تضعف قوة الضوء تدريجيا حتى تتلاشى)

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الصورة الثالثة (ليلة أخرى)

جانيـت: أتعرف، لقد ذهبت إلى هناك عدة مرات لأخذ الصورة لكن المصور غير مكانه وظلت معه.

ربـــاح: لماذا تصرين عليها؟

جانيـت: أريد استرجاع لحظة عشتها وتذكّر التفاصيل بدقة، يدك اليسار لم تكن على كتفي الأيمن كانت على كتفي الأيسر **(تتحرك وتستعيد وقفة الصورة مرة أخرى)** كيف كانت يدك آخر مرة؟

(يقف جنبها كما في المرات السابقة ويضع يده اليسرى على كتفها الأيمن ببطء وبلا مشاعر)

جانيـت: أعتقد أن يدك اليسرى كانت تلتف خلف رقبتي وتستقر على كتفي الأيسر.

(تنتظر ريثما يحرك يده ويضعها عل كتفها)

ربـــاح: ما الفرق لو وضعت يدي على هذا الكتف بدل الأخر؟

جانيـت: لأننا التقطنا الصورة وكانت يدك على كتفي هكذا... نقلت أنا البرتقالة من يدي اليسرى إلى يدي اليمنى ثم صرخ بك المصور ثقيل الدم

منشورات «ألف باء AlfYaa»

افتح عينيك..

ربـــاح: هل كانت عيناي مغلقتين؟

جانيـت: ربما... من الشمس أو العرق.

ربـــاح: تنغلق عيناي وحدهما عندما أكون في لحظة مربكة **(يغلق عينيه)**.

(قبل التقاط الصورة المفترضة يقفان صامتين وهو مغلق العينين. جانيت بوجه منزعج... صمت قصير ثم ينسحبان إلى الخلف حيث الأريكة).

صمت قصير

جانيـت: هل عدت تشرب كثيرا؟

ربـــاح: ما الفرق إن كان قليلا أو كثيرا؟

صمت

ربـــاح: لماذا يعتقد الناس بأني يجب أن أكون في المستشفى عندما أقول ما لا يرغبون وربما ما لا يفهمون... هل لديك جواب؟

جانيـت: لا أحد يريد أن يسمع ما لا يحب.

ربـــاح: نعم... لا أحد يريد أن يسمع ما يُذكّره ببؤسه وعجزه.

جانيـت: أول مرة توافق على جملة أقولها.

ربـــاح: **(ينظر إليها صامتا ثم بهدوء وبشيء من الألم)** لأننا من نفس الجرح، ربما... أنت

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جربت كل شيء ولم تصلي إلى مكان، وأنا لم أجرب شيئا وبقيت في مكاني أيضا، عندما أنظر إلى حياتي لا أتذكر أني عشت مسرات كالتي يعيشها الآخرون... كثيرة هي الأشياء التي أعرفها وربما أكثر مما يجب، لكن ما أعرفه عن الآخرين أكثر مما أعرفه عن نفسي. فشلت في عيش حياة لها حكايات، كنت ألهث خلف ما لا أعرف وأمضي بعيدا، لكني في كل مرة أكتشف أني في نفس المكان... أقف وسنواتي تتحول إلى ماضٍ لا أعتقد أنه نفسه الذي يعرفه الناس عني! أشعر بأني مطارد بسبب أخطاء لم أرتكبها وجرائم سُجلت ضدي وأنا غائب، الكل يجري خلفي مثل دجاجة يلاحقها أفراد العائلة لتكون عشاءً لهم.

جانيت: لا أحد يجري خلفك... أنت الآن أفضل وستكون أفضل.

صمت قصير

رباح: أغلقت الشباك بإحكام ثم وجدته مفتوحا.

جانيت: لا تشغل نفسك به.

صمت

رباح: **(يدخل في نوبة هذيان)** الدجاج مثلا يعيش واحدة من مغالطات الكون... كيف لكائن أن

منشورات «ألف باء AlfYaa»

يعطل جناحيه عن الطيران ويمنح نفسه ذبيحة بهذه السهولة؟ كيف يرضى كائن أن يستسلم للجاذبية بهذه البساطة؟ كيف يعطي ثقته للأرض حيث يفصل رأسه كل يوم ولمئات السنين التي مرت والسنين القادمة؟ هل تعي الدجاجة أن لها أجنحة؟ لماذا طار كل من يملك جناحين وبعض من لا يملكها، إلا هي؟ هل جربت الدجاجة الطيران وفشلت؟ هل تمردت يوما؟ هل الدجاج راض بهذا المصير الذي يصنع منه آلاف المذابح يوميا وفي كل مكان؟ هل كان الناس سيأكلون الدجاج بهذا النهم لو كان بلا أجنحة؟ اعتقد أنهم سعداء بأجنحة الدجاج لأنها تمنحهم الإحساس بأنهم يلتهمون طائرا! لكنهم يتلذذون بلحم أي طائر أكثر من لحم الدجاج لأنهم يعتقدون أنهم اصطادوه وجاءوا به من السماء كغنيمة مستحقة، هل أخبر أحد الدجاج أن عليه أن يطير، أو حرّضه على الطيران؟ أنظري كم صنعوا طيورا من حديد لكنهم لم يرغبوا في مساعدة الدجاج على الطيران كي يبقى العشاء زاخرا بالأفخاذ والصدور! **(يكمل بهدوء)** هل رأيت صورا معلقة للدجاج سوى برسوم الأطفال والمسالخ؟

جانيت: **(تجاريه)** رأيت صورا للديك معلقة في أماكن عديدة.

منشورات «ألف باء Alfyaa»

ربـــاح: الـديك يريـد أن يصـدقه الآخـرون بأنـه لـيس دجاجـة لكنـه وهـو يعلـن تفوقـه بصـياحه يظـل طـائرا عـاطلا عـن الطيـران. ميـزة الـديك أمـام نفسـه أنـه لا يبـيض ومتـأخر فـي الـذهاب إلـى المسـلخ فـراح يقـدم خدماتـه الكبيـرة فـي زيـادة النسل ونقر رؤوس الدجاج!

صمت

جانيـت: هل أنت جائع؟

ربـــاح: لا... لماذا السؤال؟

جانيـت: أسال لأنك تكلمت عن الدجاج كثيرا..

صمت

ربـــاح: **(في لحظة تشتت وتأمل يجيبها على سؤال سألته سابقا، الموسيقى تتسرب من الشباك بهدوء)** اشتقت لصديقي... صديقي الوحيد... يجلس هناك على ضفة النهر بانتظاري... يصغي إليّ وأنا أرمي بكل ثقلي من الكلام والشكوى... لا يفعل شيئا سوى أن يبتسم أو يومئ موافقا على كل ما أقول... كلما شعرت بأني ابتعدت أكثر ذهبت إليه... أكبر ويبيض شعري وتضيق خطواتي لكنه كما هو منذ أكثر من ثلاثين سنة يجلس في انتظاري على ضفة النهر بصمته الطويل.

صمت قصير

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيـت: ألم تكتب شعرا رومانسيا... قصيدة حب؟

ربـــاح: كل الشعر الجميل هو حب.

جانيـت: غزل... أقصد تكتب غزلا... امرأة أعجبتك!

ربـــاح: أنت سألتني نفس السؤال من قبل.

جانيـت: فعلا؟ تستطيع أن تجيبني في أي وقت تشاء.

صمت قصير

ربـــاح: مـرة أعجبـت بـامرأة فـي فـيلم أجنبـي قالـت لرجل يشاركها السرير... القطـط موجـودة كـي تمنحنا الإحساس بأننا نداعب النمر..

جانيـت: ما الذي أعجبك بها؟

ربـــاح: الفكرة..

جانيـت: أي فكرة؟

ربـــاح: فكرة الجملة... الجملة التي قالتها!

جانيـت: الجملة! تصورت أنك تتحدث عن المرأة التـي في السرير؟

ربـــاح: لا... الجملة التي قالتها المرأة في السرير..

جانيـت: ومـاذا تعنـي الجملـة التـي قالتهـا المـرأة فـي السرير؟

ربـــاح: ليس مهما..

(جانيت تبتسم وتنظر إليه بعطف كما تنظر إلى طفل)

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيــت: سأنام تصبح على خير..

ربـــاح: أريد أن أذهب.

جانيــت: أعرف أنك تريد أن تذهب.

(جانيت واقفة بصمت)

جانيــت: الحمام جاهز.

ربـــاح: تصبحي على خير.

(جانيت تذهب)

(رباح جالس على الأريكة حيث اللمبدير البرتقالي يبدأ بإطفاء نفسه تدريجيا... ظلام قصير وضوء من مصدر آخر يبدأ بكشف رباح جالسا على الجانب الآخر للأريكة وجانيت آتية إليه من العمق. مرَ الليل بأكمله).

جانيــت: **(تحمل بيدها كوبَي قهوة ينبعث منهما البخار، تعطي واحدا لرباح)** صباح الخير... هل كان الحمام جيدا؟

ربـــاح: نعم جيد.

جانيــت: هل تشعر بأنك أفضل؟

ربـــاح: أفضل؟ نعم..

جانيــت: تختلف الحياة قبل الحمام وبعده.

ربـــاح: يا لها من حياة يجعلها الحمام تختلف!! مع هذا فحياتي افتقدت إلى حمامات جيدة لم تكن

منشورات «ألف باء AlfYaa»

لي علاقة وطيدة بها... أعتبرها أماكن لتربية الأنانية والغرور عند البشر، يحبون الحمامات لأنها تعطيهم شعورا بأن أجسادهم في منتهى الجمال وأصواتهم رائعة عندما يغنون... يكلمون أنفسهم ويتحولون إلى خطباء، وكلما علت أصواتهم أكثر اعتقدوا أنهم على حق وأن الجماهير محتشدة تصفق لهم باعتبارهم قادة وعباقرة... يشعرهم الحمام بالتفوق لهذا هم يعشقون الوهم الذي فيه.

جانيت: كل هذا لأني سألتك هل كان الحمام جيدا؟

صمت

جانيت: اشرب قهوتك ستبرد... هل تريدني أن أسكت ولا أتكلم إلا عندما تسألني؟ أنا أسمعك وأحب ما تقول حتى لو لم أفهم كل ما تقوله... هل يمكن أن أسألك سؤالا؟

رباح: **(يومئ موافقا)**

جانيت: هل كان الحمام جيدا...؟

رباح: هل المفروض أن أضحك الآن على هذه الدعابة؟ **(يضحكان)** لم أدخل حمام بخار من قبل رأيته في الأفلام وقرأته في الروايات **(كأنه يحلم)** اختبرت شيئا جديدا، شعرت بأني وسط دخان كثيف بلا جدران ولا حدود والزمن فيه بطيء وثقيل، تحتاج إلى وقت كي

منشورات «ألف باء AlfYaa»

توصل يدك إلى شعرك كأن الزمن كان يريد التوقف... هناك في الأعلى ضوء مصباح برتقالي بعيد يبدو معلقا في السماء يشبه كوكبا أو نجمة لامعة، ضوء جميل بين سحب البخار مثل فكرة جديدة وآسرة. نظرت إلى المرآة ولم أرَ جسدي، كان دخان الماء يحجبه وبدا لي كأنه كتلة ثقيلة وعاطلة بلا ملامح أو معنى... المرآة لم تُرِني جسدي... كنت هناك بلا جسد غريبا عنه ولا أثر لأحد عليه.

جانيت: كيف رأيت كل هذا...؟

رباح: كانت هناك ألفة مع شي ما، رائحة أشعرتني بالحنين، لم تكن عطرا، بل عبقا غريبا وفيه حياة... رائحة عتيقة قادمة من بعيد تتحرك وسط البخار، بعيدة من مكان لا تحفظه ذاكرتي، كأني حلمت بها.

جانيت: **(كأنها تدخل مزاجه الخيالي)** أتذكر بشرا وأمكنة ومواقف عندما أشم رائحة ما أو أسمع أغنية تعيدني للحظة وزمن آخر مثل الهمسات التي تذكرني بأمي وهي تقرأ الآيات في صلاتها... لو ركزت أكثر لأرجعتك تلك الرائحة إلى ذكرى ما.

رباح: اعتقدت أن رائحة المستشفى محت كل الروائح من ذاكرتي.

جانيت: عندما تمسك بذكرى ستأخذك إلى ثانية وثالثة

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

وستستعيد ذلك السجل بكل تفاصيله...

رباح: **(بهدوء)** لا أريد... لا أحب الذكريات.

صمت

رباح: هل وضعتِ سكراً في القهوة؟

جانيت: لا... أنت تشربها مرة.

صمت قصير

جانيت: هل تذكر القصيدة التي كانت سبب معرفتي بك؟ لم أسمعها منك سوى مرة واحدة... اقرأها لي.

رباح: لا أتذكرها ولا أحب قصائدي، تشعرني بالندم على كتابتها، الشعر أروع من أن يكتب، الشعر أيضا يصبح ماضيا... يموت لأنه يتجدد.

جانيت: القصيدة التي كانت سبب تعارفنا في ذلك اليوم الذي قلت لي فيه وأنت تتألم لا يمكن العيش في هذا الجحيم.

رباح: نعم لا يمكن البقاء في هذا الجحيم.

جانيت: كيف تنسى شيئا ضربوك لأجله؟

رباح: ضربوني... **(يضحكان)** تجمعوا عليّ وأغلقوا فمي وأسكتوني **(يضحكان)** رموني في الشارع، قالوا إني أحرض على الإلحاد وقصائدي داعرة..

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(موسيقى تنبعث من الشباك فينتبه لها الإثنان)

جانيـت: كنت سكران وتهذي وقليل من الدم يخرج من فمـك، وقتهـا اهتـزت روحـي لأجلـك... كنـت تقـول كلمـات لا أعـرف الـرابط بينهـا لكنهـا زادت من حزنـي وارتبـاكي، وعنـدما سـاعدتك في الوقوف طلبت مني شيئا..

ربـــاح: شيء... أي شيء؟

جانيـت: استغربت طلبك وخفت لكنـي ضـحكت أيضـا، وافقت وقلت لك طيب ولكن ليس الآن...

(يدخل الاثنان في لحظة استحضار قصيرة للواقعة المشتركة)

جانيـت: ليس الآن... سأجلبه لك.

ربـــاح: متى؟

جانيـت: أي يوم قادم... قل لي أين؟

ربـــاح: في المقهى..

جانيـت: أي مقهى؟

ربـــاح: العيون ...

جانيـت: مقهـى العيـون... سـأجلبه لـك شـرط أن تـذهب الآن إلـى البيـت... أنـت متعـب... أراك بعـد يومين، سأجلبه لك.

(تنتهي لحظات الاستحضار)

ربـــاح: لم أتذكر يوم أتيت إلى المقهى وسألتِ عني

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أني رأيتك من قبل.

جانيـت: فوجئـت بأنـك لـم تعرفنـي، ثـم سـألتني عـن الشيء الذي طلبته مني، شعرت بالخيبـة وكـان الـزمن طـويلا جـدا، فـي الـدقيقتين التـي كنـت فيهما صامتا على باب المقهى أعطيتك الكيس ومضيت.

ربـــاح: فتحت الكيس ورأيت ما فيه، ولم تخطر ببالي أيـة فكـرة عنـه، وفـي نفس الوقت كـأني رأيتـه مـن قبـل... لـم أكـن أذكـر... لكـن الرائحـة التـي انبعثـت منـه أعرفهـا، اعرفهـا قبـل الآن... ظـل الكيس في حقيبتي الصغيرة يتنقل معي فـي كـل مكان وتلك الرائحة تخرج منه دون توقف.

جانيـت: هل تعطيني قميصك؟

ربـــاح: لم أخرجه من الكيس أبدا... كنـت حريصـا أن يظـل برائحتـه... كـان معـي دائمـا حتـى وأنـت تقوديني إلى المستشفى مثل أعمى، ترميني في المسلخ!

جانيـت: أخذتك إلى هناك لأن الشوارع والخمر أنهت حياتك تقريبا.

ربـــاح: السجن الذي اسمه مستشفى أنهى حيـاتي، لقد خلـط عنـدي الخيـال بـالواقع واقتربـت مـن الجنون، لكنـي اكتشفت أيضـا أن رأسـي أقسـى مما كنت أعتقد..

منشورات «ألف باء AlfYaa»

صمت

جانيـت: لماذا طلبت قميصي؟

ربـــاح: لست متأكدا ما إذا كنت طلبت قميصك، لكن مـا أذكـره وكـالحلم أن رأسـي ارتطـم بحديقـة خضراء هاجمتني منها رائحة لن أنساها..

جانيـت: عنـدما حاولـت رفعك مـن الأرض لـم أسـتطع فارتمى رأسك على خاصرتي..

ربـــاح: إنهـا لحظـة صـحو قصـيرة ... لحظـة حلـم تذكرتها بعد سنين.

جانيـت: القميص الأخضر الفاتح.

ربـــاح: المنقوش بزهور بلـون الرمـان والـذي رائحتـه هي نفس الرائحة المنثورة في بخار الحمام.

(موسيقى مستمرة من الشباك... إظلام ببطء)

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الصورة الرابعة (يوم جديد)

(يقفان مستعدين للصورة مرة أخرى ويد رباح اليسرى على كتف جانيت الأيسر... يبدو رباح أقل اعتراضا)

جانيـت: هكذا بالضبط... كانت يدك اليسرى ممتدة حتى كتفي الأيسر والبرتقالة في يدي اليمنى، وعندما طلب منك المصور صاحب الكرش الكبير أن تفتح عينيك انزاح رأسي إلى اليمين وارتمى على كتفك الأيسر **(تضع رأسها على كتفه)**

رباح: هل فتحت عينيّ؟

جانيـت: ربما فتحتهما لأن المصور لم يطلب منك فتحهما ثانية..

رباح: ربما التقطت الصورة وعيناي كانتا مغلقتين..

جانيـت: لا أعتقد... المصور لن يسكت، كان سينبهك مرة أخرى.

رباح: أعتقد أنه مل من تنبيهي والتقط الصورة وأنا مغمض.

جانيـت: رأسي كان على كتفك وكنت أنظر إلى

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الكاميرا، لم يكن بمقدوري لحظتها أن أتأكد من وضع عينيك.

رباح: أنا أسأل لأن شعورا سيئا كان سينتابني وقتها إذا ما كانت عيناي مغلقتين... لا يمكن التقاط الصورة وأنا مغلق العينين... كانت ستبدو صورة فاشلة.

(جانيت تنسحب إلى الخلف بشيء من التوتر والحزن، تنساب دموعها على خدها، يقف رباح جنب الأريكة)

صمت

رباح: تبكين مرة أخرى.

جانيت: أنا لا أبكي..

رباح: أنت تبكين..

جانيت: لا لا... أنا لا أبكي.

رباح: لماذا تنكرين أنك تبكين؟... ليس في البكاء ما يدعو للإنكار.

جانيت: ما دام كذلك لماذا تطلب مني أن لا أبكي؟

رباح: لأن الدموع يجب أن لا تهدر في كل مرة نتألم فيها، يجب أن يظل البكاء داخلنا كالندم.

جانيت: لا تقلق، لدي الكثير من الدموع، نحن النساء نبكي كثيرا، هذا العلاج الوحيد المتوفر.

صمت

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ربـــاح: لماذا تبكين؟

جانيـت: أبكي ضياع الأشياء التي لم أحصل عليها.

ربـــاح: **(فـي مـا يشـبه نوبـة هـذيان أخـرى)** هنـاك الكثيـر مـن البكـاء فـي هـذا العـالم، أصـدقائي الذين حدثتك عنهم، أصدقائي الذين في رأسي يبكـون ويتحـدثون عـن البكـاء كثيـرا، دانتـي* كانت له غرفة يبكي فيها، في كل بيت سكن فيه سماها غرفة الدموع. غونترغراس** كتب قصـة اسـمها قبـو البصـل تحكـي عـن زبـائن أغنيـاء يرتـادون مطعمـا فارهـا، وجبتهم بصلة في طبق فاخر يقطعونها لتنهمر دموعهم، ثم يسـددون الفـاتورة المكلفـة بعـد وجبـة بكـاء باذخـة. أمـا سـرفانتس*** فكـان يسـمي العـالم وادي الدموع..

جانيـت: **(تمسح بقايا دموعها)** من هؤلاء؟... من هو سرفانتس؟

ربـــاح: **(فاقد التركيز)**... ها؟

صمت

جانيـت: سرفانتس؟

*** دانتي: إيطالي مؤلف "الكوميديا الإلهية"**

**** غونتر غراس: قاص وروائي ألماني حائز على جائزة نوبل للآداب.**

***** سرفانتس: إسباني كتب رواية "دونكيشوت" وأعمالا أخرى.**

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ربـــاح: مؤلف، كَتَبَ رواية اسمها دون كيشوت.

جانيـت: عماذا تحكي؟

ربـــاح: عن رجل حارب طواحين الهواء.

جانيـت: مجنون؟

ربـــاح: لا يمكن لرجل عاقل أن يصنع عملا مهما*.

جانيـت: يعني مجنون.

ربـــاح: شيء من هذا.

جانيـت: طواحين... كيف يحاربها؟

ربـــاح: تصورها شياطين ومصدر الشر في العالم!

جانيـت: وبعد؟

ربـــاح: لا شيء... هزموه، قالوا إنه واهم.

جانيـت: مثلي..

ربـــاح: لا... بالنسبة لي لم يكن واهما... حقق هذا الرجل ما يريد، انساق إلى خياله، واستغرق في أحلامه الخارقة وأحرق علاقته بالعالم والواقع ونظم الحياة المتعسفة... ولأنه تمرد على واقعهم بطريقته الغريبة ولم يرضخ لمنطقهم وقواعدهم اتهموه بالجنون ومات بالحمى على سريره.

---

* **جملة للروائي الأيرلندي جيمس جويس.**

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جانيـت: هل تشعر بأنه يشبهك؟

ربـــاح: هـو يشـبه كـل حـالم وإن سـموه واهمـا. يشـبهك... أبطـال سـرفانتس بشـبهونك أنـت والكثيرين.

صمت

جانيـت: أنـا لـم أحـارب أحـدا، وجـدت كـل شـيء يحاربني، شنّوا حرباً ضدي..

ربـــاح: من؟

جانيـت: الذين يحركون الطواحين!

ربـــاح: **(يبتسم)** من هؤلاء؟

جانيـت: هل تريد سماع قصة أخرى؟

ربـــاح: نعم لو كانت عن الطواحين.

(صوت الموسيقى يأتي من الشباك)

جانيـت: في صباح ليلة لم أنم فيها ولا لحظة ارتديت أحلى ملابسي وأنا أعيد الأغنية كل خمسة دقائق في الفراش وأمام المرآة، حتى أني استعدت طفولتي وغنيتها داخل دولاب الملابس... الموعد الذي انتظرته طويلا في العاشرة صباحا، خرجت بحذائي الأسود اللامع الذي كنت أضرب الأرض بكعبيه بثقة زائدة، وكنت أسمع أصواتاً بعيدة تشبه سعالاً مخنوقاً، أصواتاً مكتومة ومخيفة يشعر بها

منشورات «ألف باء AlfYaa»

جسدي وكل ما حولي. ارتبكت وتوقفت لحظةً لكني اندفعت مرة أخرى إلى الأمام وقد غاب صوت كعب حذائي الأسود اللامع وصار يضرب الأرض بلا ثقة. لم يكن أحد غيري في الطريق وأنا ارتدي فستانا يرتدونه غالبا لسهرة عرس، كل الدكاكين والبيوت مقفلة والناس كأنهم لم يكونوا، والذين أراهم من الشرطة والجيش ببنادقهم وخوذهم متوترون وينظرون إليّ كمجنونة أو سكرانة عائدة من سهرة. وقريبا من أول الشارع الذي سأدخل منه إلى المبنى الذي أريده تحرك نحوي ضابط وقال... إلى أين؟ لدي اختبار أمام لجنة الموسيقى في الإذاعة، رد بسخرية أي اختبار وأي إذاعة؟ العالم يحترق... عودي إلى البيت. عندما قال ذلك بدأت أسمع أصوات القنابل والصواريخ وهي تقترب كالإعصار، انهارت قواي وبدأت قدماي ترتجفان وكنت سأقع، الأرض تهتز والجنود يتراكضون والزجاج يتناثر، اختلط صفير أذني بصفارات الإنذار والإطفاء وتحول كل شيء إلى لون الرماد، نزعت عني حذائي الأسود اللامع وركضت بكل ما بقى لي من قوة لأصل البيت... هناك أيقنت أن حلمي قد تبخر وما عاد مني سوى أشلاء مثل تلك الجسور والبنايات والسقوف التي تنهار. شنوا الحرب

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

على حلمي... على كرة الضوء التي لم أنر حياتي بها... شنوا الحرب في ذلك اليوم لكي لا أكون مغنية... سنوات طويلة انتظرت فيها أن أغني بدلا من أن أكمل أغنية لأحد... حرب كبرى من أجل أن أظل كومبارس... قطعة غيار في كورس غناء.

صمت

ربـــاح: يجب أن تأخذي حقك من الطواحين والذين يحركونها!

جانيـت: هل تريدني أن أكون مثل صاحبك الذي نسيت اسمه وأحاربها؟

ربـــاح: نعم... تغنين!

جانيـت: أي غناء بعد ثلاثين سنة من ذلك الصباح الذي حولني إلى مغنية كباريه؟

ربـــاح: لآخر لحظة يجب أن تغني.

جانيـت: أين... ومن يسمعني؟

ربـــاح: هنا وفي كل مكان.

جانيـت: لا أحد يعترف بي مغنية!

ربـــاح: أنا واللجنة نعترف بك.

جانيـت: وما علاقة اللجنة؟

ربـــاح: طبعا اللجنة... لقد منعتهم الحرب من

منشورات «ألف باء AlfYaa»

اختبـــارك ومنحـــك رخصـــة مغنيـــة... يـــوم الاختبار ربما كان أهم حدث في حياتك. أنا معك لقد منعوك من أن تكوني مغنية لكني متأكد من أن اللجنة كانت ستمنحك الرخصة.

جانيـت: كيف يعطوني رخصة وأنا لم أغني أمامهم؟

ربـــاح: منعتهم الحرب من اختبارك، معنى هذا أن الحرب فعل سيء يمنع فعلا جيدا هو الغناء. معناه أنت جيدة وكنت ستنجحين.

جانيـت: أنت تهدئني بحيلك اللغوية التي أعرفها... افرض أني غنيت أمامهم وفشلت ولم أحصل على الرخصة؟

ربـــاح: افتراض غير دقيق لغياب البرهان! هل باستطاعتك التأكيد على أنك كنت ستفشلين لو غنيتِ أمام اللجنة؟

جانيـت: كيف؟ ... لا ... لا أدري. . ليس لدي تأكيد.

ربـــاح: إذن... مع عدم وجود برهان أو تأكيد على فشلك أمام اللجنة لم يبق إلا شيء واحد... نجاحك أمام اللجنة... مَن لم يفشل ناجح. غني ... لم يعد هناك شيء مهم لتبكي عليه... كنت تحلمين... سنوات طويلة وأنت تحملين... شيء عظيم أن يقضي الإنسان عمره وهو يحلم... كل ما جرى في حياتك هو جزء من هذا الحلم... غني أنت مغنية حالمة.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

صمت

(جانيت تتجه إلى عمق المسرح وتترك رباحا جالسا على الأريكة. يخفت ضوء اللمبدير وينطفئ لحظة ليبزغ ضوء يكشف رباحا جالسا وحقيبة جلدية صغيرة في حضنه، وبنظرة ساهمة تبدو بعيدة... مر الليل بطوله... تأتي جانيت من الخلف وتقف على طرف الأريكة، تنظر إلى رباح صامتة).

جانيت: مُصِر... ؟

رباح: **(صامت)**

جانيت: إلى أين... ؟

رباح: ليس مهما.

جانيت: أنت لا تملك مكانا ...

رباح: متى كان لي مكان ومتى عرفت إلى أين أذهب. الأمكنة خيار وليست قدرا.

جانيت: الأمكنة ناس.

رباح: ليسوا بقدر أيضا.

صمت

رباح: لا أقصد..

صمت

جانيت: ابْقَ.

رباح: لا أستطيع.

جانيت: حاول.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

رباح: حاولت.

جانيت: ستبقى لو أردت.

رباح: أبقى أو أرحل عندما أستطيع، لا عندما أريد... حياتي نفي متواصل عن الأمكنة والناس والأشياء. أحيانا أريد الشيء وأرفض الوصول إليه كأن رأسي لشخص آخر... الحياة أساءتْ التصرف معي وأسأتُ التصرف معها... لا نحب بعضنا... أنا وهي لا نلتقي..

جانيت: أنا أيضا عاقبتني الحياة وأنهكتني... أنا مثلك منفية وغريبة وضائعة... مثلك لا أنتمي إلى الأماكن التي وجدت نفسي فيها... ربما في حياتي قصص مع رجال طيبين أعطوني قليلا من الرضا، وأكثر منهم بكثير الذين تناوبوا على سنواتي وضياعي ولم يتركوا أية ملامح أو أسماء في ذاكرتي... إن كنت تهرب من الماضي فأنا أعيش مع ذكريات لا تهدأ... هي كل ما املك... **(بعد قليل)** لا تذهب.

(صمت... يتغير الضوء ومصدره ببطء شديد إيحاءً بمرور الزمن من ليل إلى نهار وبالعكس... رباح في مكانه وفي نفس جلسته... جانيت تغير مكانها إلى الطرف الثاني من الأريكة. الموسيقى تأتي بعيدة من الشباك).

رباح: أنت تشفقين عليّ.

جانيت: لا لا... أبدا... لا... أنا أحترمك... أنا أحبك

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بطريقة لا أفهمها لكني أحسها، أتحسب أن بحثي عنك كل مرة في البارات والمقاهي والفنادق كان شفقة؟ أم أن انتظاري ساعات طويلة على مصطبة الحديقة لتأتي وتجلس جنبي صامتا طول الوقت مجرد شفقة؟ أم هي الشفقة التي جعلتني أخذك إلى المستشفى وأنا ابكي كطفلة ضائعة؟ لم تضمني معك جدران من قبل سوى هذه الأيام، لكني تأكدت مثلما كنت أعتقد من الإنسان الذي يسكن فيك، الإنسان المختفي، حقيقتك أو حقيقتنا المختبئة كما تقول، نعم حقيقتك الجميلة التي ما غيرت رأيي فيها منذ اليوم الأول الذي وجدتك فيه صدفة وأنت مرمي على الأرض، كل مرة كنت ألتقيك فيها أشعر بأني أتعالج من وعكة أصابتني... والآن سأمرض لو ذهبت.

صمت

ربـــاح: حقيقتي المختبئة هي أني من أشياء لا تشبه بعضها... لم أكن طفلا ربما... لم أجمع الطوابع وأنا صغير، ولم يكن عندي صور في ألبوم العائلة... عندما كبرت لم يكن عندي حذاء ثانٍ أو دفتر تلفونات. كان لي أب وأم وإخوة وبيت فيه غرف ومراوح ودولاب... بيت عدت إليه مرات لكني في كل مرة لا أجده في مكانه... لم أجده لأني اكتشفت أن

منشورات «ألف باء AlfYaa»

البيوت تنتقل وترحل... تضيع مثل البشر...

(تتكرر حالة تغير الضوء ومصدره لنفس السبب... رباح جالس في مكانه فيما جانيت تغير مكانها. صوت موسيقى الشباك يرتفع قليلا).

جانيت: لأي شيء ستذهب؟

رباح: اجتزت شوارع ومحطات ومدنا بحثا عن شيء متنكر أو غير موجود... لا أمتلك ما أذهب إليه، ولا أدعي أني امتلكت يوما سريرا غير سرير المستشفى... هل أنا مجنون؟ أيعرف المجنون أنه مجنون؟ أم فقط أخطأت العنوان وجئت إلى مكان ليس مكاني؟ أأمشي خلف شيء أم شيء ما يطاردني؟ أشعر الآن بأني لا انتمي إلى هذا العالم وأنا لست في مكاني.

جانيت: هل أنت خائف مني... أن تكون مع أحد؟

رباح: أخاف من نفسي فقط... أخاف من كوني ضحية أشياء وجدت نفسي فيها صدفة... أشياء لم أخترها... حتى اسمي الذي ابتذل من التكرار أو النسيان لا أحبه، إنه اختيار آخرين!

جانيت: أنا أيضا تركت اسمي لأني لا أحبه، كنت خائفة ومتخفية واتخذت لنفسي اسما آخر... الآخرون كانوا يسمونني على هواهم...

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بعضهم كان يسميني على أسماء حيوانات أو طيور أو يستحضرون من خلالي أسماء نجمات أو حبيبات يتخيلوهن أو لم يحصلوا عليهن... بالأسماء أو بدونها لم أكن أنا.

(صمت آخر، يتغير الضوء ومصدره... ما زال رباح جالسا في مكانه)

جانيت: **(تجلس على الأريكة)** كانت المسافة التي بيني وبين المغنية التي أغني خلفها أربعة أمتار فقط... سنوات كثيرة ذهبت من عمري، بل ربما عمري كله دون أن أستطع قطعها... أشعر الآن بأني كنت أحاول أن أقطعها لأصل إليك..

صمت قصير

جانيت: أنا متأكدة من أن عينيك كانتا مفتوحتين في الصورة.

رباح: كيف تأكدتِ؟

جانيت: لأني عندما وضعت رأسي على كتفك رفعت يدك من على كتفي ووضعتها حول خصري ثم أدرت وجهك نحوي ببطء، شعرت بأنفاسك على خدي، وفي اللحظة التي كانت شفتاك ستقبلان جبيني صرخ بك المصور البغيض أنظر إلى الكاميرا، لحظتها سقطت من يدي

منشورات «ألف باء AlfYaa»

البرتقالة ولم تظهر في الصورة.

ربـــاح: هل كان لنا صورة؟

جانيـت: كان لدينا الكثير من الصور التي تخيلتها... لك ألبومات صور في رأسي.

(إظلام قصير وضوء اللمبدير يتوهج ببطء وهما في نفس الجلسة بلا حراك. تظهر كومة برتقال وسطهما على الأريكة وكأنهما ينظران إلى كاميرا تلتقط لهما صورة... صوت بقايا الموسيقى المنبعثة من الشباك... ضوء اللمبدير ينسحب ببطء).

انتهت

منشورات «ألف باء AlfYaa»

باسم قهار

- مخرج وممثل وكاتب
- مواليد بغداد 1963.
- بكالوريوس إخراج مسرحي من أكاديمية الفنون الجميلة سنة 1990.
- اخرج للمسرح 24 عرضا مسرحيا بالعربية والانكليزية توزعت بين بغداد ودمشق وبيروت وسدني وعمان.
- كتب مسرحيات أخرجها للمسرح السوري وقدمت في دمشق وبيروت وعمان .

- مسرحية كهرب 2002
- مسرحية أرابيا 2004
- مسرحية برتقال 2020

منشورات «آلاء» Alaa

(فازت بالجائزة الأولى للهيئة العربية للمسرح وترجمت للفرنسية مرتين وترجمت للفنلندية وقدمت على المسرح الوطني الفنلندي سنة 2024.)

- اخرج حوالي 17 فيلما وثائقيا وثلاثة مسلسلات تلفزيونية .
- مثل في حوالي 50 عملا تلفزيونيا بين سوريا ومصر والعراق ولبنان والكويت والمغرب .
- مثل في 8 أفلام سينمائية ثلاثة منها عالمية باللغة الانكليزية.
- كتب العديد من المقالات عن المسرح والسينما وقاد ورش عمل للممثلين الشباب في استراليا وسوريا ولبنان والمغرب.
- عمل في لجان التحكيم للمهرجانات المسرحية والسينمائية في دول عدة .

منشورات «ألف باء AlfYaa»